الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

للقاضي عياض

أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي

٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ

تحقيق

علي محمد البجاوي

الجزء الأول

الناشر

دار الكتاب العربي

ص.ب: ١١-٥٧٦٩ بيروت

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٥٤٧٨/٨٠٠٨١١/٨٠٠٨٣٢

تلكس: ٤٠١٣٩ .L.E كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتاب « الشفا » للقاضى عياض من خير الكتب التى عرفت بحقوق المصطفى؛ فقد أحاط الكتابُ بصفات الرسول عليه السلام ، وما يجب له من حقوق؛ ونظرة إلى تقديم المؤلف للكتاب، وبيان أبوابه وفصوله[1] ، وسرده لكثير من الحوادث والأخبار ، تنبئ بإحاطة المؤلف بكل الجوانب التى تتصل بصفات الرسول ، وتجلّى لنا سيرة رسولنا النبى الكريم .

وقد اعتمد المؤلف فى ذلك كله على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، يؤيد بها رأيه .

واستدل بآراء المفسرين والمحدّثين والفقهاء فيما جاء به .

وأراه قد سار فى هذا الكتاب سيرة علمية نادرة ؛ إذ عقد لكل موضوع بابا ، ثم فصل الموضوع فى فصول .

وابتدأ كل فصل بإيراد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وما ورد عن الصحابة والتابعين ، شأن العلماء الأبرار ، والباحثين الأفذاذ ؛ ونسب كل حديث إلى راويه ، وكل قول إلى قائله ؛ فجاء كتابه مثلا أعلى فى التنسيق والإحاطة والتوثيق.

ولهذا عدّه كثير من أفاضل العلماء وجهابذة المؤرخين والمحققين من خير الكتب فى موضوعه ؛ فقد قال عنه المقرى فى أزهار الرياض[2] :

« مما كمل تأليفه رضوان الله عليه كتاب « الشفا » الذى بلغ فيه الغاية القُصْوى، وسار صيته شرقا وغربا ؛ ولقد لهجت به الخاصة والعامة ، عجما وعربا ، ونال به مؤلفه وغيره من الرحمن قربا .

---

(١) من صفحة ٨ ـ ١٢ من هذه المطبوعة للكتاب .

(٢) أزهار الرياض صفحة ٢٨٤ من مخطوطة الكتاب .

ثم قال :

وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى. ولا يمترى مَنْ سمع كلامَه العَذْبَ السهل المنوَّر في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، أو وصف إعجاز القرآن ـ أن تلك نَفْحَة ربانية ، ومنحة صمدانية ، خص الله بها هذا الإمام ، وحلّاه بدرها النظيم ؛ وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم .

وقال ابن جابر[1] رحمه الله تعالى :

وقيّدت من خط الشيخ الصالح الزاهد أبو الحسين عبيد الله أحمد بن عبد المجيد الأزدى الرّندى[2] على كتاب « الشفا » ، وكان نسخه بيده ، ما مثاله :

وقد فزت ـ والحمد لله ـ بنسخه وكماله . . . فنسأل الله تعالى أن يجزى مؤلفه خيرا ، ويعظم له بما ألفه . . . فقد جرى رضى الله عنه فى ميدان أشرف العلوم جَرْىَ السابق ، ونظم فى جيد الزمان سلك المعارف ودرر الحقائق ، وسقى بكتاب « الشفا » قَلْبَ كل مؤمن صادق ، كما كبت به قَلْبَ كل عدوّ منافق ؛ فإذا طالعه المؤمن استنارت فى باطنه حقائق أنواره ، وإذا جال فى روض معارفه ، تنفست له نفحات نسيمه ، وتبسمت له مباسم أزهاره ؛ فهو كما قال القائل ؛ تعظيما لعمله الكريم ، وتشريفا لحميد آثاره :

كتاب الشفاء شفاء القلوب   قد ائتلقت شمس برهانه
إذا طالع المؤمن مضمونه   رسا فى الهدى أصل إيمانه
وجال بروض التُّقَى ناشقا   روائح أزهار أفنانه

قال[3] :

ووجدت بخط الشيخ الحافظ الإمام أبى عبد الله محمد بن سعد التلمسانى رحمه الله ما نصّه : وتواليف القاضى أبى الفضل رحمه الله دالةٌ على ماله عند الله من الكرامة

(١) أزهار الرياض ٤٨٥ من مخطوطة الكتاب . (٢) توفى ببجاية فى نحو التسعين وستمائة .
(٣) أزهار الرياض ٤٨٦ من مخطوطة الكتاب .

والعناية ؛ فمن تأمّل انتفاعَ المسلمين به شرقا وغربا ، علم أن ذلك من أسرار القُرْب والولاية ، وكتابه « الشفا » هو وسط القلادة ، وبرنامج السعادة ؛ وفيه يقول بعض الفضلاء :

أُنس الوحيد وديمة الأنداء ونسيم عرف الروضة الغناء[1]

وذكره فى كتاب « مطمح الأنفس » فقال[2] :

هذا وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قَدْرُه جليل ، وهو على جلالة مصنفّه أدل دليل ؛ فإنه أَجَلُّ أعيانِ الأندلس ؛ جاء بها على قدر ، وسبَق لنَيْل المعانى وابتدر ، فاستيقظ لها والناس نيام ... وقد وفى ببيان ما يجب من آياته ، ونشر على كاهل الدهر ألويةَ الثناء بين يدى صفاته ، مما يحقّ له أن يُكْتَب بالنور فى صحائف وجنات الحور ، وينقش بقلم العقل معانيه ، ويخط على ألواح الأذهان لأطفال الأرواح مبانيه ، صحف أترعت بشهد حَلَا ، فى كل ذوق لذلك كان شفا ؛ ولعمرى لقد نثر الدرفيه مِنْ فِيه ، وبلغت أمانيه ما كانت تنويه من التنويه ، حديث لو أن الميت نودى باسمه لأصبح حيا بعد ماضمه القبر .. ...

وقال القارى[3] :

« كتاب « الشفاء » فى شمائل صاحب الاصطفاء أَجْمَعُ ما صُنّف فى بابه مجملا فى الاستيفاء » .

وقال فى أزهار الرياض[4] :

وقد اعتنى الأئمة بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه ؛ فمن شرحه الإمام الرئيس الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق التلمسانى (٧١٠ ـ ٧٨١ هـ) ، شرحا واسعا .

وممن علق عليه عدةَ تعاليق الشيخ الإمام محمد ابن الشيخ الربانى الولى الصالح[5] .

(١) وأنشد بعد ذلك فى أزهار الرياض شعرا كثيرا فى مدح هذا الكتاب لطائفة من الأدباء والعلماء (٤٨٦ ـ ٤٩٠) . (٢) شرح الخفاجى : ١ ـ ٢ (٣) شرح القارى : ١ ـ ٢

(٤) أزهار الرياض : ٤٩٠ ، من المخطوطة . والأعلام للزركلى .

(٥) سترى بعد بيانا عن شروحه ، وتعليقاته .

وكما اعتنى الناس بذلك اعتنوا أيضا بتصحيحه وضبطه وإتقانه .

* * *

هذا ، وممن عنى بشرح هذا الكتاب أيضا :

١ ـ الشهاب الخفاجى ، وقد شرحه شرحا مطولا ،أسماه : نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ، وقد طبع فى أربعة مجلدات . وسأعرفك بهذا الشرح وبمؤلفه بعد .

٢ ـ المُلّا على القارى ، وقد شرحه شرحا متوسط الطول ، وقد طبع فى جزأين كبيرين ، وسأحدثك عنه وعن مؤلفه بَعْدُ .

٣ ـ الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، وقد شرحه شرحا مختصرا ، وأسماهُ المدد الفياض .

وهذا الشرح بمكتبة الأزهر برقم ٥٥٦ خصوصية ، وهو مطبوع على الحجر سنة ١٢٨٦ هـ . فى جزأين: الأول فى ٣٥٠ صفحة، والثانى فى ٣١٨ صفحة ؛ قال مصححه :

هذا شرح المدد الفياض بنور الشفاء للقاضى عياض لمولانا الفاضل الأوحد الفريد، والبحر البسيط الوافر المديد ، خادم السنة ، وضياء الدّجُنّة، الكوثر الراوى ،أستاذنا الهمام الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ، حفظه الله ونفع به .

وفى مقدمته :

الحمد لله الذى أبرز من نور جماله نورا اقتبست منه حقائق الكائنات ، وشفى به صدور قوم بفتح عين بصائرهم ؛ فصاروا هداةً رحمةً للمخلوقات ، والصلاة والسلام على مفتاح رحمة الموجودات . . . وبعد . فيقول أسير الشهوات ، وكثير الهفوات، حسن العدوى الحمزاوى سامحه الله من التقصير والمساوى : إنه لما تولّع قلبى بحب طبع بعض كتب قطب الواصلين . . . وأخدمه على هامشه من معجمه ، ضابطا لبيان ما أجمع عليه الشراح من النسخ الصحيحة ، حيث إن أغلب نسخه على كثرتها فيها بعض تحريف ، وغير مضبوطة ... ... فجمعتُ ما تيسّر من موادّه من شروح

وحواش ؛ ليكون ذلك أبلغ فى تصحيح نُسخه ، وأنبّه على ما اختلف فيه بعض الشراح من النسخ ، وأعزوه لصاحبه؛وبذلتُ الوُسْعَ على تفتيش أصح المتون منه... أسأل الله الرحمن الرحيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم،وأن يطهّر قلبى من العوائق والأغيار ، بجاه سيد الأخيار ، وعليه الصلاة والسلام .

ومما وقفت عليه من شروح هذا الكتاب وتعليقاته (١) :

٤ ـ كتاب اسمه « مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا » ـ تأليف العلامة تقى الدين أحمد بن محمد بن حسن الشمنى التميمى الدارى الحنفى ، وهو مخطوط بدار الكتب ، ومنه نسخ فيها تحت أرقام : ٣٧٥ ، ٤٢٨ ، ٧٣٦ ، ١٤٥٠ .

٥ ـ كتاب « المقتفى فى حل ألفاظ الشفا »، تأليف العلامة برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن خليل الحلبى سبط ابن العجمى ، وهو مخطوط بدار الكتب برقم ٢٦٩

* * *

ولما كان القاضى عياض قد اعتمد فى مؤلفه « الشفا » على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فقد عنى به السيوطى ، وخرّج أحاديثه فى كتابه « مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا » .

وقد طبع هذا الكتاب فى مجلد طبع حجر بالقاهرة سنة١٢٧٦هـ ، وبهامشه بعض حواش ؛ ومنه نحو عشرين نسخة بمكتبة الأزهر ؛ وقد جاء فى مقدمته :

الحمد لله الذى إذا وعد وفى ، إذا أوعد عفا ، والصلاة والسلام على محمد الذى هدى وشفى ، من كان فى الضلالة على شفا وعلى آله وأصحابه أولى الفضل والوفا .

هذا كتاب نفيس أتقنته، وتأليف شريف وضعته، خرّجت فيه أحاديث «الشفا» للقاضى عياض تخريجا محررا ، سالكا فيه طريقا موجزا مختصرا ، ولم أستمد فيه من شىء من الكتب المؤلفة عليه ؛ بل اعتمدت فيه على حفظى ونظرى ، وراجعتُ

(١) فهارس دار الكتب المصرية .

الأصولَ المعتمدة والجوامع ، وسميتهُ « مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفا »،وعلى الله الاعتماد ، وإليه الاستناد ؛ وبه الاكتفاء .

وأشير هنـا إلى طريقته فى التخريج ؛ وأقدم لذلك بعض الأمثلة :

فى خطبة الكتاب :

حديث أبى هريرة : من سئل عن علم فكتمه . . . الحديث أسنده المصنف من طريق أبى دواد ، وأخرجه أيضا الترمذى وحسّنه ، وابن حبان ؛ والحاكم وصححه ، وابن ماجه بسند صحيح ، من طريق محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة .

وفى صفحة ٧ :

حديث جابر رضى الله عنه : أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم : فالتقمت خاتم النبوة بفمى ، فكان ينمّ علىّ مسكا ... ابن عساكر فى تاريخه .

حديث : إنه كان إذا أراد أن يتغوّط انشقّت الأرض . . . البيهقى ، عن عائشة رضى الله عنها ، وقال : موضوع .

فهو كما ترى يذكر مرجع كل حديث ، ولكن ينقصه تحديد الباب ، أو الصفحة من الكتاب ؛ وما كنا ننتظر ذلك منه ومن عصره .

ولهذا أكملت هـذا التخريج بذكر الصفحة فى المراجع التى أشار إليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، معتمدا فى ذلك على كتب السنة ، وعلى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

مؤلف الكتاب

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون [١] بن موسى بن عياض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبى السّبْتى .

وهو من أهل سبتة ، وأصله من مدينة بسطة[٢] .

---

(١) وعند ابن الأبار : عمرو ـ بدل عمرون: (أزهار الرياض : ٣ ـ ١٧).

(٢) ووفيات الأعيان : ٢ ـ ١١٧

وكتب القاضي عياض[1] بخطه؛ فذكر أنه ولد في منتصف شعبان من سنة ست وسبعين وأربعمائة.

وتوفي[2] رحمه الله بمراكش مغربا عن وطنه وسط سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وقدم الأندلس طالبا للعلم، فأخذ بقرطبة عن جلة علمائها، وأخذ بالمشرق عن القاضي الصدفي، وعن غيره، وعُني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وجمع من الحديث كثيرا، وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده....

وقد استقضى ببلده - يعني مدينة سَبْتة - مدة طويلة حمدت سيرته فيها، ثم نقل منها إلى قضاء غرناطة فلم تطل مدته بها.

وقال - هو - عن نسب أجداده[4]:

استقر أجدادنا في القديم بجهة بَسْطَة من بلاد الأندلس، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس، وكان لهم استقرار بالقيروان، فلا أدري أكان قبل استقرارهم بالأندلس أم بعده.

قال:

وكان عمرون والد جد أبي رحمة الله على جميعهم، رجلا خيّرا صالحا، من أهل القرآن، انتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة بعد دخول بني عبيد المغرب.

وقال ابنه القاضي أبو عبد الله بن عياض رحمه الله[5]:

نشأ أبي على عفة وصيانة، مرضيّ الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفا بالنُّبل والفهم والحِذْق، طالبا للعلم، حريصا مجتهدا فيه، معظما من الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والاختلاف إليهم، إلى أن برع أهل زمانه، وساد جلة أقرانه؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى، مع القراءة الحسنة، والحظ

(١) أزهار الرياض ١٥ ه من مخطوطة الكتاب.

(٢) وأزهار الرياض: ٣ - ١٧، وفيات الأعيان: ٢ - ١١٨، الصلة: ١ - ٤٥٤

(٣) سيأتي حديث موسع عن شيوخه.

(٤) الصلة ١ - ٤٥٣، أزهار الرياض: ١ - ٢٨ من المطبوعة.

(٥) أزهار الرياض: ٣ - ٢٧ من المطبوعة.

الوافر من تفسيره وجميع علومه ؛ وكان من أئمة الحديث فى وقته ، أصوليا متكلما ، فقيها حافظا للغة والأخبار والتواريخ ، حُلو الدعابة ، صبورا حليما ، حسن العِشْرَة ، جوادا سمحا ، دَءوبا على العمل ، صَلِيبا فى الحق . . .

وفى أزهار الرياض يتمثل بقول ابن عاصم فى وصف عياض[1] :

قد كان ـ رحمه الله ـ علَمَ الكمال ، ورجـــل الحقيقة ، وقاراً لا يخفّ راسيه ، ولا يعرى كاسيه ، وسكونا لا يُطْرَق جانبُه ، ولا يُرْهب غالبه ؛ وحلماً لا تزل حصاتُه ، ولا تُهمل وَصاته ، وانقباضا لا يُتعَدّى رسْمُه ، ولا يتجاوز حكمُه ؛ ونزاهة لا ترخصُ قيمتُها ، ولا تلين عزيمتُها... ؛ وذهنا لا يخبو نورُه ، ولا يَنْبُو مطروره ؛ وفهما لا يخفى فلقُه ؛ وحفظا لا يُسْبَر غورُه ، ولا يذبل نَوْره . . . وطلبا لا تتحِد فنونُه ، ولا تتعين عيونُه ؛ بل لا تحصر معارفُه ، ولا تُقصر مصارفه ....

وقال الملاحى[2] :

كان القاضى عياض رحمه الله بَحْرَ عِلْمٍ ، وهضبة دين وحِلْم ، أحكم قراءة كتاب الله بالسبع ، وبلغ من معرفته الطول والعرض ، وبرّز فى علم الحديث ، وحمل راية الرأى ، ورأس فى الأصول ، وحفظ أسماء الرجال ، وثقب فى علم النحو ، وقيّد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء ، وأعراض الأدباء[3] . . .

وقال المقرى فى أزهار الرياض[4] :

وكان القاضى أبو الفضل كثير الاعتناء بالتقييد والتحصيل ؛ قال ابن خاتمة : كان لا يبلغ شأوه ، ولا يبلغ مداه فى العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم مع حُسن التفنّن فيه ، والتصرف الكامل فى فهم معانيه؛ إلى اضطلاعه بالأداة ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته فى الفقه ، ومشاركته فى اللغة والعربية ؛

---

(١) أزهار الرياض : ٣ـ٦ من المطبوعة . (٢) أزهار الرياض : ٣ـ٧ من المطبوعة .

(٣) وارجع إلى ما قدمناه صفحة ٥ من كلام الخفاجى عنه ، وعن مطمح الأنفس .

(٤) أزهار الرياض ٨ : ٥ من المخطوطة .

وبالجملة فقد كان جمال العصر، ومفخر الأفق، وينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة؛ وإذا عدّت رجالات المغرب فضلا عن الأندلس حسبناه منهم . . .

وقال :

وكان - رحمه الله - معظّما للسنّة، عالما عاملا، خاشعا قانتا، قوّالا للحق، لا يخافُ في الله لومة لائم، وكان معتنيا بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها، وكتابه « المشارق » أزكى شاهد على ذلك. وكان حاضر الجواب، حادّ الذهن، متوقّد الذكاء، جامعا للفنون، أخذ منها بالحظ الأوفر، وكان بارع الخط المغربي، حسن العبارة، لطيف الإشارة؛ وتآليفه شاهدة بذلك.

وله في الفقه المالكي اليد الطولى، وعليه المعوّل في حل ألفاظ المدونة، وضبط مشكلاتها، وتحرير رواياتها، وتسمية رواتها.

قال[1] :

وكان القاضي عياض حسن الإلقاء للمسائل، كثير التحرير للنقول، وقد انتفع به من العلماء مَنْ لا يحصى.

قال[2] :

ولما ورد القاضي عياض غرناطة خرج الناس للقائه، وبرزوا تبريزا ما رأيت لأمير مؤمر مثله . . . .

وقال[3] :

وكان القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - كثير الإنصاف متواضعا؛ ومما يدل على إنصافه وتواضعه :

كان قاضيا بغرناطة، وفي مجلسه جماعة من الطلبة والأعيان يسمعون تأليفه المسمى بالشفا؛ فلما وصل القارىء إلى هذه الكلمات : « ومن قسم به أقسط » - قرأه ثلاثيا، وكذلك كان في الأم التي كان يقرأ فيها.

(١) أزهار الرياض : ٣ - ١٩ من المطبوعة. (٢) أزهار الرياض : ٣-١١ من المطبوعة.
(٣) أزهار الرياض : ٣-١٣ من المطبوعة.

فقال له أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد الأزدى : هذا لا يجوز فى هذا الموضع . فقال : ماتقول ؟ قال : إنما هو أقسط ؛ لأن المراد فى هذا الموضع « عدل » ؛ فالفعل منه رباعىّ ، كما قال الله تعالى[1] : « وأقسطوا إن الله يحبّ المُقْسطين » . وأما قسط فإنما هو جار ؛ كما قال تعالى[2] : « وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حَطَبا » . فتعجب وقال لمن حضر : إن هذا الكتاب قرأه علىّ من العالَم مالا يحصى كثرة ، ولا أقف على منتهى أعدادهم ، وما تنبّه أحد لهذه اللفظة . . .

وقال ابن خلكان[3] :

وللقاضى عياض شعر حسن ؛ فمنه مارواه عنه ولده أبو عبدالله محمد قاضى دانية، قال : أنشدنى لنفسه فى خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح :

انظر إلى الزرع وخاماته[4] ... تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

قال : وأنشد أيضا لأبيه :

اللهُ يعلم أنى منذ لم أركم ... كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم ... لأن[5] بعدكم عنى جنى حينى

وله فى لزوم ما لا يلزم :

إذا مانشرت بساط انبساط ... فعنه ـ فديتك ـ فاطو المزاحا
فإن المزاح على ماحكاه ... أولو العلم قبلى عن العلم زاحا

شيوخه

من هؤلاء الشيوخ[6] :

١ — القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن رشد الفقيه ، ذكره ابن بشكوال .

(١) سورة الحجرات ، آية ٩
(٢) سورة الجن آية ١٥
(٣) وفيات الأعيان : ٢ ـ ١٢٦
(٤) الخامة : القصبة الرطبة من الزرع .
(٥) فى المطرب (١ ـ ٨٨) : فإن.
(٦) أزهار الرياض ٣ ـ ٨ ، ٥٩ ـ ١٥٦ من المطبوعة .

٢ — والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي الشهير بابن الحاج قاضى الجماعة بقرطبة .

٣ — وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربى المعافرى الإشبيلى ، وكان من أهل التفنّن فى العلوم متقدما فى المعارف كلها .

٤ — وأبو عبدالله بن أحمد بن التغلبي ؛ وهو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز ابن أحمد التغلبي .

٥ — وأبو بكر بن عطية الفقيه الحافظ .

٦ — والشيخ الإمام النحوى الأديب اللغوى أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى ، نزيل بلنسية .

٧ — والشيخ أبو على الجيانى ، وهو حسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجيانى ، رئيس المحدثين بقرطبة ، وليس هو منها ، وإنما نزلها أبوه فى الفتنة ، وأصله من الزهراء .

٨ — والقاضى الشهير أبو على الصدفى ؛ وهو حسين بن محمد بن فيُّرُهْ بن حَيُّون ابن سكرة .

٩ — والقاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على بن سعيد بن عبد الله ابن شِيْرين الجذامى ، من أهل مُرْجيق ـ حصن من حصون شِلْب .

قال فى أزهار الرياض[1] :

وإذا تتبعنا أشياخ القاضى بالتعريف لم يسع ذلك هذا الموضوع ، فهم نحو المائة .

* * *

وممن أجاز القاضى عياضا ولم يَلْقَه[2] :

١ ـ أبو بكر بن محمد بن الوليد الطرشوشى .

٢ ـ وأبو بكر المازرى : محمد بن على بن عمر بن محمد التميمى المازرى (نسبة إلى مازر : بلدة بجزيرة صقلية) .

---

(١) أزهار الرياض ٣ـ١٥٧ من المطبوعة .　　(٢) أزهار الرياض : ٤٠٥ من المخطوطة.

٣ ـ وإمام المحدثين أبو الطاهر السلفى : أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهانى .

وغيرهم .

كتبه

من مؤلفات القاضى عياض[١] :

١ ـ كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ وقد عرفناك به ، وسنحدثك عن نسخه بعدُ ، وهو الذى نقدمه لك الآن .

٢ ـ كتاب المستنبطة « فى شرح كلمات مشكلة ، وألفاظ مغلطة مما وقع فى كتاب « المدونة » ، لم يؤلف مثله .

وقد غلب على تسميته ببلاد إفريقية وغيرها : « التنبيهات » .

٣ ـ الغنية فى أسماء شيوخه .

٤ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، وهو غريب لم يسبق إليه .

٥ ـ الإلماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع ـ سفر .

٦ ـ إكمال المعلم فى شرح مسلم ـ تسعة وعشرون جزءا .

٧ ـ الإعلام بقواعد الإسلام .

٨ ـ بغية الرائد لما تضمّن حديث أم زَرْع من الفوائد .

٩ ـ المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ـ فى سفرين .

وغيرها كثير ، وبعضها تركها فى المبيضة ، أو لم يكملها ؛ ومنها :

نظم البرهان على صحة جزم الأذان . الفنون الستة فى أخبار سبتة . غنية الكاتب وبغية الطالب فى الصدور والترسيل . تاريخ المرابطين . الجامع للتاريخ . أجوبة القرطبيين .

---

(١) أزهار الرياض : ٥٠٤ من المخطوطة .

نسخ الكتاب

حين صحّ عزمى على إخراج هذا الكتاب القيِّم محققا ، بحثت عن نسخه الخطية ، فوجدت فيضا من النسخ لم أجده لكتاب ؛ ففى مكتبة الأزهر نحو ٤٩ نسخة خطية ، وفى دار الكتب ٤٢ نسخة ؛ صحيح أن بعضها مكرر فى المكتبتين ، ولكنى لم أر مثل هذا العدد من المخطوطات لكتاب .

وكان لابد من الاختيار من هذا الفيض المادّ من النسخ ؛ ووقع اختيارى ـ بعد البحث والموازنة ـ على نسختين ، رأيت أنهما أفضل النسخ المخطوطة لهذا الكتاب ، ورمزت إلى الأولى بالحرف (ا) ، وللثانية بالحرف (ب) ، وهما بمكتبة الأزهر ، وأحدثك عنهما فى إيجاز :

١ ـ النسخة (ا) رقمها ٧٥٦ حديث ، وعدد أوراقها ٢٨٦ ورقة ، فى ١٧سطرا ، وخطها نسخى جميل ، وأول صفحة منها مذهبة ، وعنوان الكتاب فيها : كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم . تأليف الشيخ الإمام ، العالم المحدث ، الزاهد العلامة القاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى رحمه الله .

وقبل هذه الصفحة صفحة كتب عليها : وقف هذا الكتاب ـ وهو متن الشفا ـ عبد البر ابن المرحوم العلامة الشيخ أحمد منة الله على أهل العلم بالأزهر ، وجعل مقره بالكتبخانة الأزهرية فى رجب سنة ١٣١٦ هـ . كاتبه الفقير عبد البر أحمد منة الله المالكى الأزهرى عفا الله عنه .

وفى صفحة ٢٥ من هذه النسخة كتبت هذه العبارة :

بلغ مالكها يوسف بن شاهين سبط أحمد بن على بن حجر قراءة على الشيخ شمس الدين الرشيدى ، والجماعة سماعا فى الأول والقراءة فى النسخة الموقوفة . . . فى ذى الحجة سنة ٨٤٠ هـ .

وفى آخر هذه النسخة :

تم كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم،على يد أضعف خلق الله تعالى وأحوجهم إلى لطفه الخفى أحمد بن على بن محمد الحنفى ، عفا الله عنه ، وعن والديه ، وعمن قرأه أو نظر فيه أو سمعه ، ودعا له بالعفو والمغفرة ، وجميع المسلمين ، وذلك فى يوم الاثنين الثالث عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، أحسن الله تقضيها . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبجانب الصفحة :

الحمـــد لله ، أنهاه قراءة فى شهر رمضان عام خمسة وخمسين . . . أبو الوفا محمد ابن خليل بن إبراهيم الحنفى ، عفا الله عنه ، داعيا لمالـكه بطول البقاء .

ثم :

إجازة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

أما بعد فقد سمع جميع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تأليف القاضى أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى ، على شيخنا الإمام المسند المـكثر فقير رحمة ربه ، شمس الدين أبو عبـــد الله محمد الإمام جمال الدين عبد الله ابن الشيخ شمس الدين محمد العلامة برهان الدين إبراهيم بن ... الرشيدى . . . قبل موته قيل له : أخبرك العلامة تقى الدين أبو الفتح محمد بن أحمد ابن حاتم ، وعلاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن السبع ... ...

وأجازه للأخيرين بقراءة كاتبه يوسف بن شاهين الـكركى سبط أحمد بن على ابن حجر فى مجالس عدتها تسعة عشر مجلسا آخرهم ! يوم الخميس ثامن عشر من شهر صفر عام خمسين وثمانمائة .

قال ذلك ، وكتب يوسف الشافعى حامدا ومصليا ، ومسلما ومحسبلا ومحوقلا .

وبعده :

الحمد لله على الدوام والصلاة على ... الأنام والسلام . القراءة والسماع والإجازة كل صحيح ، نفع الله تعالى به ونفع بهم . . . وكتبه محمد بن عبد الله بن محمد ... وصلى الله تعالى على السيد الكامل سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطا متقنا، وعليها تعليقات هامة ، وهى صحيحة كاملة، وعلى هامشها مايدل على قراءتها ومراجعتها؛ فهى نسخة أصيلة موثقة،خالية مما يشوبها أو ينقص من قيمتها .

٢ ـ النسخة (ب) فى ٢٣٧ ورقة ، بقلم معتاد قديم بخط أبى بكر أحمد الجعفرى سنة ٧٨٥ هـ ، ومسطرتها ١٩ سطرا ، ورقمها فى المكتبة الأزهرية ٢٠١ حديث .

وفى الصفحة الأولى منها : هـذا كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم تصنيف القاضى الإمام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى .

وهذه النسخة مضبوطة ضبطا كاملا ، وفى هوامشها بعض تعليقات ، وبعض تفسير للكلمات ، وتدوين لاختلاف النسخ ، وتعليق .

وفى صفحة ٦٢ من هذه النسخة :

الحمد لله . بلغ الشيخ العالم الصالح خالد بن عبد الله اليمانى نفع الله به ، قراءة على على الفقير ، من أول هـذا الكتاب إلى هنا . وأجزته أن يروى عنى جميع هذا الكتاب ، ومايجوز لى،وعلى روايته كشرطه عند أهله . وكتبه محمد بن أبى اللطف.

وكثيرا ما تقرأ على هوامش الصفحات مثل هذه العبارات :

بلغت مقابلة . بلغت مقابلة رابعة . بلغ قراءة والجماعة سماعا فى المجلس.

مما يدل على قراءة هذه النسخة ومقابلتها وأصالتها .

وجاء فى آخر هذه النسخة :

بلغ مقابلة وتصحيحا على نسخ عديدة معتمدة بحسب الطاقة والإمكان ، ولله الحمد . . .

وذلك بتاريخ مستهل جمادى الآخرة المبارك سنة تسعين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بالمسجد المعروف . . . . داخل حلب المحروسة .

وبعده :

الحمد لله . قرأت جميع الشفا بحقوق المصطفى ، تأليف الإمام الحافظ أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبي القاضى، على سيدنا ومفيدنا الإمام الحافظ رحلة المحدثين ، بركة المسلمين ، مفيد الطالبين : محيي الدين أبى زكريا يحيي ابن الشيخ جمال الدين يوسف بن شرف الدين بن يعقوب بن أحمد ابن الشيخ . . . الرحبي الشافعى ، بحق سماعه من الشيخ الإمام نجم الدين يوسف بن زين الدين محمد بن أبى الفتوح القرشى ، عرف بالدلاصى ، بسماعه من الشيخ الزاهد تقى الدين أبى الحسن يحيي ابن الشيخ الإمام أبى العباس أحمد بن محمد بن حسن اللوانى عرف بابن . . . بإجازته من الشيخ الإمام الحافظ أبى الحسين يحيي بن محمد بن على الأنصارى الشهير بابن الصائغ بإجازته منه ؛ فذكره عن نفسه وعن شيوخه ، وذلك فى أربعة مجالس آخرها نهار السبت مستهل صفو بمنزل ... ... داخل دمشق المحروسة .

وأجاز لى ما يجوز له روايته .

قال ذلك وكتبه أبو بكر بن أحمد بن عمر الجعفرى العجلوى ، ثم الحلبى من شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وبعده :

صحيح ذلك . وكتب : يحيي بن يوسف الرحبي الشافعى .

وفى أعلى هذه الصفحة الأخيرة :

بلغ مقابلة على عدة نسخ معتمدة أيضا حسب الطاقة . ولله الحمد والمنة، وذلك فى الثانى والعشرين من رمضان المعظم بالزاوية البسطامية بظاهر حلب المحروسة فى سنة . . . وسبع . . .

* * *

ومن هذا البيان تستطيع أن تلم بما حملنى على اختيار هاتين النسختين دون غيرهما من النسخ الكثيرة للكتاب ؛ فكل منهما قد قوبلت على عدة نسخ ، وعلى كل واحدة منهما إجازة أو إجازات ، وما يدل على قراءتها ومراجعتها على نسخ كثيرة .

عملى فى الكتاب

١ ـ راجعت الكتاب على المخطوطتين السابقتين ، وأثبت الخلاف بينهما ـ إن كان ـ فى هوامش الكتاب .

٢ ـ ترجمت لبعض الأعلام ، التى رأيت أن القارىء قد يفيد من ترجمتها .

٣ ـ خرّجت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر .

٤ ـ وضعت للكتاب فهارس فنية منوعة ، تساعد على الإفادة منه ، والرجوع إلى مسائله .

٥ ـ علقت على الكتاب تعليقات تساعد القارىء على الفهم ، وتعاونه فى الكشف عن المعانى الدقيقة ، والإشارات التى وردت فيه .

وقد استعنت فى هذه التعليقات بروافد ثلاثة ، كانت خير مدد لى فيما قصدت إليه من تسهيل لفهم الكتاب وشرح لمراميه :

(ا) وأول هذه الروافد شرح الشهاب الخفاجى للكتاب ، وهو الذى أسماه : نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض .

والشهاب الخفاجى (٩٧٧ ـ ١٠٦٩ هـ) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجي المصرى ، ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة،لأب كان من خيرة علماء عصره، هو محمد بن عمر الخفاجى .

وقد نشأ الشهاب فى كنف أبيه يعلمه ويؤدبه ، وعليه تخرج فى كثير من الفنون، ثم انطلق إلى رحاب أوسع، فدرس النحو، وعلوم العربية على خاله أبى بكر بن إسماعيل ابن شهاب الدين الشنوانى المتوفى سنة تسع عشرة بعد الألف ، ثم درس المنطق ، وبقية علوم العربية ، وكتب المذهبين : الحنفى والشافعى .

وقرأ «الشفا» بتمامه على جمال الدين إبراهيم العلقمى المصرى، وأجازه به وبغيره

وله من المؤلفات : أمالى الشهاب الخفاجى . شرح الفرائض . حديقة السمر . خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا . ديوان الأدب . ريحانة الألبا . شرح درة الغواص . شفاء الغليل . نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض . وهو كتابنا الذى نقدمه لك .

وقال فى مقدمة شرحه (١) :

هذا ، وإن كتاب « الشفا » بتعريف حقوق المصطفى كتاب قدره جليل ، وهو على جلالة مصنفه أدل دليل . . . فلما كنت قديما وحديثا يحثنى حادى الشوق نحوه حثيثا . . . وكان يصدنى عنه ما فى الباع من القصر ، وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر .

فلما رأيت له شروحا ربما تنشرح لها الصدور وإن لم تخل قصورها المشيدة من قصور ، وفى بعضها أغاليط وتطويل ممل وتخليط ، إلا أن تقليـــد الناس لبىّ صريح ندائها ، والبحث قد أمّن على دعائها ؛ فسوّدت بعض الأمالى رجاء لأن يبيض بها صحف أعمالى . . . ثم عرض لى بغتة ما عرض ، مما أضرّ بجوهر القوى من العرض، فقصدت شفاء الروح والبدن بإسناد الجسم الصحيح لحديثه الصحيح الحسن ، رجاء الظفر بسعادة الدارين . . . وسميته نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض .

(١) نسيم الرياض : ١–٢

ثم ذكر سنده فى هذا الكتاب إلى القاضى عياض .

وقد طبع هذا الكتاب فى أربعة مجلدات سنة ١٢٦٧ هـ ، سنة ١٣١٢ فى استامبول ، وطبع فى القاهرة بالمطبعة الأميرية فى أربعة مجلدات أيضا سنة ١٣٢٥هـ.

وكان هذا الشرح نَبعا استقيتُ منه كثيرا من التعليقات ، مثبتا فى كل ما نقلته عنه مرجعى هذا .

وهو شرح مستفيض لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقف عندها ، وأفاض فى بيانها .

وهو يترجم لكثير من الرجال ، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويخرج الأحاديث، معتمدا على « مناهل الصفا » للسيوطى ، وسأعرفك به قريبا .

(ب) وثانى هذه الروافد : شرح الملا على القارى على هذا الكتاب (١٠١٤ هـ . ١٦٠٦ م) .

وهو على بن محمد[1] سلطان الهروى المعروف بالقارى ؛ وهو فقيه حنفى من صدور العلم فى عصره . ولد بهراة . وسكن مكة ، وتوفى بها .

قيل : كان يكتب فى كل عام مصحفا ، وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام .

وصنف كتبا كثيرة منها تفسير للقرآن فى ثلاثة مجلدات ، والأثمار الجنية فى أسماء الحنفية . وبداية السالك . وشرح مشكلات الموطأ ، وشرح الشمائل ، وشرح الشفا ، وهو الذى نقدمه لك .

وهذا الشرح طبع فى الآستانة سنة ١٣١٦ هـ فى مجلدين كبيرين ، كما طبع فى بولاق سنة ١٢٥٧ هـ وقال فى مقدمته[2] :

أما بعد فيقول أفقر العباد إلى كرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى :

---

(١) وورد اسمه على كثير من كتبه : على بن سلطان .

(٢) شرح القارى : ١ ـ ٢

لما رأيت كتاب الشفاء فى شمائل صاحب الاصطفاء ، أجمع ما صنف فى بابه مجملا فى الاستيفاء ، لعدم إمكان الوصول إلى انتهاء الاستقصاء ، قصدتُ أن أخدمه بشرح يشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الإعراب والبناء؛ رجاء أن أسلك فى سلك مسالك العلماء يوم الجزاء ؛ فأقول ، وبالله التوفيق .

وهذا الشرح فى نحو ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو يفسر العبارات ، ويترجم للأعلام، ويشير إلى اختلاف النسخ ، ويضبط ـ بالحروف ـ ما يحتاج إلى ضبط ؛ ولكن لا يهتم كثيرا بتخريج الأحاديث .

وعبارته واضحة مشرقة ، فيه هداية للقارئ وملجأ للباحث .

(جـ) أما الثالث والأخير فهو كتاب « مناهل الصفا » للسيوطى، وهو مطبوع طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ .

والسيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر ، غنى عن التعريف ، فهو عالم، فقيه، مفسر، مؤرخ ، لغوى ، له مؤلفات قيمة فى فروع العلم . ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتوفى بها سنة ٩١١ هـ .

* * *

ومن هذه الروافد الثلاثة وغيرها من كتب اللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والحديث ، والتفسير[١] ، قيدت تعليقاتى على الكتاب ؛ فكان فى حلته الجديدة جامعا لزبدة ما فى هذه الشروح ؛ مما يساعد على الإفادة من الكتاب .

* * *

وهأنذا أقدمه إلى القراء ، محققا تحقيقا فنيا أول مرة ، مع تعليقاته التى تشرح ألفاظه ، وتفسر عباراته ، وتوضح مراميه، وتخرج آياته وأحاديثه وتكمل رواياته، وتفصل إشاراته ، مختتما بفهارس فنية منوعة تساعد على الرجوع إلى مسائله .

---

(١) ترى ذلك فى الفهرس الخاص بمراجع الضبط والتحقيق والشرح فى آخر الكتاب .

والله أسأل أن يجنبنى الزلل ، ويوفقنى إلى الصواب ، وينفع به بقدر ما قصدت من خير ، وما أردت من نفع .

على محمد البجاوى

مصر الجديدة { غرة المحرم سنة ١٣٩٨ هـ
ديسمبر سنة ١٩٧٧ م